يعبث به ما شاء له العبث ، أدى ذلك كله إلى دوامة من الخوف تلف حياة الإنسان ومستقبلة ، إذ رأى في المكتشفات الحديثة المتنوعة ما قد يرتد إلى الإنسان ويحيل الحياة إلى مأساة .

أن انفصاماً شديداً متزايداً حدث بين الدين والعقل ، ولست مسرفاً إذا قلت أن هذا الانفصام أضعف العقل والإيمان وأفقرهما فقراً شديداً ، فالعقل الذي تجاهل أو أنكر الوحي الإلهي فقد رؤيته لهدفه الأسمى وهو الوصول إلى الحق المطلق ، والدين بدون العقل انطوى على ذاته وأخذ ينطلق من الأحاسيس الوجدانية والاختبارات الشخصية وفقد سمة الشمولية التي يتميز بها ، فمن العبث التفكير بأن الدين يقوى حين يلغي العقل أو يضعف بل قد يتحول إذا غاب عنه العقل إلى تطرف وأساطير وخرافات ، وقل الأمر ذاته عن العقل إن لم يغذيه إيمان راسخ وعقيدة ثابتة فلن يهتم بما هو جوهري في الإنسان وفي الحياة ، بل سيصبح أداة لسوق الاستهلاك .

(٧) المصالحة بين العقل والدين

قال أحد المتصوفين المسيحيين " كل حقيقة أياً كان قائلها هي قبس من روح الله " (ق.امبروسيوس) أن التدين والإيمان أرقى تعبير عن حقيقة الشخص البشري ، لأنه قمة الطبيعة العاقلة ، وينطلق التدين من عمق شوق الإنسان إلى الحقيقة ، يستند إلى خبرة الإنسان الذاتية في سعي شخصي إلى الكشف عن الله ، وأن عقل الإنسان يترع دوماً بإرادته إلى البحث بطريقة حرة عن إجابات تعطي للحياة معناها الصحيح وهنا ينفتح العقل على التدين ...

ويمكن أن نضع أسساً ثلاثة نراها ضرورية للمصالحة بين العقل والدين

– أ –الإقرار بوجود خالق لهذا الكون والوجود والإنسان ، وأن العقل " السوي " الذي يمتد عبر تاريخ الفكر الإنساني ، آمن بذلك وأكدته الأديان على تعددها واختلافها ، لم يكن هذا الكون عبثاً أو صدفة و لم يلق الإنسان لقيطاً في الفضاء ، كما أكدت ذلك الخبرة الروحية الإنسانية التي لا يمكن إنكارها أو إهمالها وليس هناك دليل واحد على عدم وجود الكائن الأعظم " الله " الحقيقة المطلقة ، الذي أعلن عن ذاته في مراحل التاريخ الإنساني ، ويجب أن نميز بوضوح وحسم ، بين العلم وبين العلماء ، العلم لا يقول لا لوجود الله ، وإن كان بعض العلماء أنكروا أنهم توصلوا إلى هذه الحقيقة ، يمكن للعلماء أن يفسروا القوانين الطبيعية لكنهم لن يستطيعوا شرح السر والعلاقة بين هذه القوانين ، هناك عالم غير مرئي لا يقع تحت الاختبار في كل قوانين الكون والوجود .

ولئن أثبت العقل وجود الخالق – العلة الأولى – على مر تطور الفكر والفلسفة ، فإن الخبرة الروحية والدين ، أمور أثبتت أن الله في أعماق الوجود ، وفي كيان الإنسان ، أو كما قال أحد